

تفسير السعدي

@ 602 @ الجيب ، فخرج بيضاء في جملة تسع آيات ، تذهب بها ، وتدعو فرعون وقومه ! 2
2 ! ، فسقوا بشركهم ، وعتوهم ، وعلوهم على عباد الله ، واستكبارهم في الأرض ، بغير الحق . فذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وملاه ، ودعاهم إلى الله تعالى ، وأراهم الآيات . ! 22
! مضيئة ، تدل على الحق ، ويبصر بها كما تبصر الأبصار بالشمس . ! 2 2 ! لم يكفهم مجرد القول بأنه سحر ، بل قالوا : ! 2 2 ! ظاهر لكل أحد . وهذا من أعجب العجائب ، الآيات المبصرات ، والأنوار الساطعات تجعل من بين الخزعبلات ، وأظهر السحر . هل هذا ، إلا من أعظم المكابرة ، وأوقح السفسة . ! 2 2 ! أي كفروا بآيات الله ، جاحدين لها . ! 2 2 ! أي : ليس جردهم ، مستندا إلى الشك والريب . وإنما جردهم مع علمهم ، وتيقنهم بصحتها ! 2
2 ! منهم لحق ربهم ولأنفسهم . ! 2 2 ! على الحق وعلى العباد ، وعلى الانقياد للرسول . ! 2 2 ! أسوأ عاقبة ، دمرهم الله وأغرقهم في البحر ، وأخزاهم ، وأورث مساكنهم المستضعفين من عباده . ^ (ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين * وورث سليمان داوود وقال يأيتها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن ه ذا لهو الفضل المبين * وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يأيتها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين * وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبإ بنبا يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي ه ذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يأيتها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين * قالت يأيتها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون * قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين * قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون * وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان قال

أتمدون بمال فما آتاني ا خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون * ارجع إليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون * قال يا أيها الملأ أياكم
يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من
مقامك وإني عليه لقوي أمين * قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد
إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال ه ذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر
فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم * قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون
من الذين لا يهتدون * فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين * وصدها ما كانت تعبد من دون ا إنها كانت من قوم كافرين * قيل لها ادخلي
الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني
ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان رب العالمين) ^ يذكر في هذا القرآن ، وينوه بمنته على
داود وسليمان ابنه ، بالعلم الواسع الكثير ، بدليل التنكير ، كما قال تعالى : ! 2 ! 2
الآية . ! 2 ! 2 ! شاكرين لربهما منته ، الكبرى بتعليمهما : ! 2 ! 2 ! فحمدا ا على جعلهما
من المؤمنين ، أهل السعادة ، وأنهما كانا من خواصهم . ولا شك أن المؤمنين أربع درجات :
الصالحون ، ثم فوقهم : الشهداء ، ثم فوقهم : الصديقون ، ثم فوقهم : الأنبياء . وداود
وسليمان ، من خواص الرسل ، وإن كانا دون درجة أولى العزم الخمسة . لكنهما من جملة
الرسل الفضلاء الكرام ، الذين نوه ا بذكرهم ، ومدحهم في كتابه ، مدحا عظيما ، فحمدا
ا على بلوغ هذه المنزلة . وهذا عنوان سعادة العبد ، أن يكون شاكرا ا على نعمه ،
الدينية والدنيوية ، وأن يرى جميع النعم من ربه . فلا يفخر بها ولا يعجب بها ، بل يرى
أنها تستحق عليه شكرا كثيرا . فلما مدحهما مشتركين ، خص سليمان ، بما خصه به ، لكون
ا أعطاه ملكا عظيما ، وصار له من المجريات ، ما لم يكن لأبيه ، صلى ا عليهما وسلم ،
فقال : ! 2 ! 2 ! أي : ورث علمه ونبوته ، فانضم علم أبيه إلى علمه ، فلعله ، تعلم من
أبيه ما عنده ، من العلم ، مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه ، كما تقدم من قوله
ففهمناها سليمان . وقال : شكرا ا ، وتبجحا بإحسانه ، وتحدثا بنعمته : ! 2 ! 2 ! فكان
عليه الصلاة والسلام ، يفقه ما تقول ، وتتكلم به ، كما راجع الهدد ، وراجع ، وكما فهم
قول النملة للنمل ، كما يأتي ، وهذا ، لم يكن لأحد غير سليمان عليه السلام . ^ (وأوتينا
من كل شيء) ^ أي : أعطانا ا من النعم ، ومن أسباب الملك ، ومن السلطنة والقهر ، ما
لم يؤت أحدا من الآدميين . ولهذا دعا ربه فقال : ! 2 ! 2 ! فسخر ا له الشياطين ، يعملون
له كل ما شاء ، من الأعمال ، التي يعجز عنها غيرهم ، وسخر له الريح ، غدوها شهر ،
ورواها شهر . ! 2 ! 2 ! الذي أعطانا ا ، وفضلنا ، واختصنا به ! 2 ! 2 ! الواضح الجلي ،
فاعترف أكمل اعتراف بنعمة ا تعالى . ! 2 ! 2 ! أي : جمع له جنوده الكثيرة ، الهائلة ،

المتنوعة ، من بني آدم ، ومن الجن ، والشياطين ، ومن الطيور فهم يوزعون ، يدبرون ، ويرد أولهم على آخرهم ، وينظمون غاية التنظيم ، في سيرهم ونزولهم ، وحلهم ، وترحالهم قد استعد لذلك ، وأعد له عدته . وكل هذه الجنود مؤتمرة بأمره ، لا تقدر على عصيانه ، ولا تتمرد عليه ، كما قال تعالى : ! 2 2 ! أي : أعط بغير حساب ، فصار بهذه الجنود الضخمة في بعض أسفاره . ^ (حتى إذا أتوا على وادي النمل